القيم الحضارية المشتركة بين المسيحية والإسلام وفاعليتها في عصر العولمة

الدكتورة: آسيا شكيرب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة - الجزائر

مقـــدمـــة:

شهد عالمنا تحولا قيميا نوعيا في السنوات الأخيرة على مستوى العالمين الشرقي والغربي، إثر الثورة الإعلامية والتكنولوجية التي جعلت من العالم "**قرية صغيرة**" بقيم ومبادئ موحدة، كادت أن تفتت الهويات القيمية الخصوصية للشعوب والأمم، فتصاعدت عدة أصوات في الملتقيات والمؤتمرات العلمية، تنادي بالعمل على الحفاظ واحترام القيم الخصوصية، والعمل على صياغة أرضية مشتركة للقيم الإنسانية جمعاء.

وبالرغم من تلك المحاولات فإن الخلاف يشتد حينما يتعلق الأمر بمفاهيم هذه القيم الإنسانية، من مثل الحرية والعدل وغيرها، ومرد هذا الخلاف يرجع إلى المرجعية المتبناة، لأن مفاهيم القيم تتحدد بمرجعياتها سواء كانت مرجعيات دينية أو مرجعيات مادية. فإلى أي مدى يمكن للقيم المسيحية والإسلامية المشتركة الحفاظ على خصوصيتها في عصر العولمة؟ وهل تحتوي كل من المسيحية على منظومة قيم حضارية ذات بعد روحي ومادي يكون خيارا فاعلا في عصر العولمة؟

وقد اخترت فكّ أطراف هذه الإشكالية باتباع المنهج التحليلي، الذي يعمد إلى تحليل الأفكار وإعادة بنائها وتركيبها وفق منهج يضمن فهم كنهها.

كما اخترت هذا البحث بغرض الوصول إلى هدفين أساسيين:

الأول: إثبات أن الحضارة الغربية التي تمثل أرقى ما وصل له الإنسان من حياة مادية، في حاجة إلى حياة روحية راقية بجانب ذلك الرقي المادي، كي تحفظ التوازن دائما بين الحياتين المادية والروحية، لا تسمح بطغيان أحدهما على الأخرى، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا بالعودة للقيم الدينية.

الثاني: ضرورة العودة للقيم الحضارية ذات المصدر الديني، وهذا لتوفرها على أبعاد روحية ومادية تمكنها من تصدّر القيم الكونية في وقتنا المعاصر.

لأن القيم في المفهوم المادي لا تطوقها أخلاقيات محددة، هي قيم نفعية كونية تجعل من الكون كله حقل اختبار لتحقيق مكاسب مادية.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على مادة مصدرية متنوعة، في الجانبين المسيحي والإسلامي، باللغتين العربية والفرنسية.

وقد قسمت البحث إلى تمهيد مفاهيمي ثم مبحثين فكانت خطة العمل التالية:

تمهيد مفاهيمي :

- **القيم الحضارية:**

1 تعريف القيم .

2 تعريف الحضارة.

3 مدلول القيم الحضارية .

- **تحديات العولمة :**

1 تعريف العولمة.

2 تحديات العولمة.

المبحث الأول: القيم الحضارية في الأناجيل الأربعةّ.

المطلب الأول: قيمتي العدل والحرية في الأناجيل الأربعة:

1 قيمة العدل

2 قيمة الحرية

المطلب الثاني: قيمتي التسامح والسلام في الناجيل الأربعة:

1 قيمة التسامح

2 قيمة السلام

المبحث الثاني: القيم الحضارية في القرآن الكريم

المطلب الأول: قيمتي العدل والحرية في القرآن الكريم

1 قيمة العدل

2 قيمة الحرية

المطلب الثاني: قيمتي التسامح والسلام

1 قيمة التسامح

2 قيمة السلام

خاتمة .

تمهيد مفاهيمي:

إنّ الكلام عن القيم الحضارية من خلال الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم، وتحديات العولمة، يستلزم منا تحديد الأطراف الاصطلاحية التركيبية، لتجلية المفاهيم من جهة، ولتوضيح الفكرة الأساسية لهذا البحث من جهة أخرى. فالكلام عن القيم الحضارية من خلال الأناجيل والقرآن الكريم، هو نتاج نسق من الأفكار التركيبية نحاول تفكيك مركباتها في هذا التمهيد، بتوضيح المقصود من القيم الحضارية، وتحديات العولمة، وعلاقتهما بالقيم المسيحية والإسلامية.

- **القيم الحضارية:**

أولا: مفهوم القيم.

1- القيم في اللغة:

القيم: جمع قيمة[1] " وأصل القيمة الواو, ومنه: قومت الشيء تقويما، وأصله أنك تقيم هذا مكان ذاك"[2]. **ويقول** ابن منظور القيم":جمع قيمة، والقيمة :ثمن الشيء، يقال :كم قيمت ناقتك؟ أي: كم بلغت"[3]

1- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**, دار الفكر بيروت، ج4، ص168.

2- ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**, تحقيق: عبد السلام هارون, ط 2 سنة 1392هـ. ج5، ص43.

3- بن منظور جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط1، (بيروت: دار الفكر، 1410هـ)،ج 7، ص 124.

وأصل الكلمة قَوَمَ قال ابن فارس: "القاف والواو والميم أصلان صحيحان؛ يدل أحدهما على جماعة ناس – قوم وأقوام – وربما استعير في غيرهم, والآخر على انتصاب أو عزم – قام قياماً –".[1]

وقال في القاموس: "القيمة بالكسر: واحدة القيم، وماله قيمة إذا لم يدم على الشيء, والقَوام: العدل وما يعاش به، والقِوام: نظام الأمر وعماده وملاكه.[2]

2- القيم في الاصطلاح الفكري:

تطلق القيمة[3] على كل شيء جدير باهتمام الإنسان وعنايته، وقيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعله مرغوبا فيه عند شخص أو فريق من الناس، ومن الناحية الموضوعية تطلق القيمة على ما يتميز به الشيء من صفات ومزايا تجعله جديرا بالتقدير. وتكون القيمة مطلقة إذا كان الشيء مستحقا للتقدير بذاته، كالخير، والحق، والجمال، وتكون القيمة إضافية، إذا كان الشيء مستحقا للتقدير من أجل غرض من الأغراض.[4]

ثانيا: مفهوم الحضارة:

1- الحضارة لغة:

1- ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج5، ص 43.

2- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ج4، ص168.

3- وفي علم الأخلاق يطلق لفظ القيمة على ما يدل على لفظ" الخير"، بمعنى أن تكون قيمة الفعل تابعة لما يتضمنه من خيرية، وتكون قيمة الفعل أكبر، كلما كانت المطابقة بين الفعل والصورة الغائية للخير أكمل . والصورة الذهنية الغائية تسمى بالقيم النموذجية، وتلك الصور هي الأصل الذي تبنعليه أحكام القيم الإنشائية التي تأمر بفعل ما يوافقها وتعده شيئا مرضيا، وتأمر بترك ما يخالفها لكونه منافيا، وغير مرغوب فيه. (جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني 1973 م)، ص 82)

4- **ندوة الدين والتدافع الحضاري** – مجلة رسالة الجهاد –، (ليبيا: جمعية الدعوة الاسلامية، 1989م)، ص82

لو استنطقنا اللغة العربية، لوجدنا أن الحضارة تعني الإقامة في الحضر، أي في المدن والقرى، بخلاف البداوة، وهي الإقامة المتنقلة في البوادي، جاء في لسان العرب: " والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، وبدا، خرج من البادية وأقام بها"

ويقال: فلان من أهل البادية، وفلان من أهل الحاضرة، وفلان بدوي وفلان حضري، قال القطامي:

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية ترانا[1]

وحسب لاروس Larousse الحضارة من الكلمة اللاتينية civils و civis وتعني المواطن. والحضارة هي مواطنة فرد، أو وطن. وتحدد لاروس civils بكونها فعل التحضّر.[2]

2- الحضارة في الاصطلاح الفكري:

يعتبر ابن خلدون خير من أسهم في تطوير كلمة الحضارة في أصلها اللغوي العام وصاغها مصطلحا اجتماعيا واضحا، وذلك حين قال: الحضارة أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر.[3]

لقد أريد من الحضارة ما يستتبع الإقامة في الحضر من الاستقرار الذي ينشأ عن زراعة الأرض، وهو السبيل الأكيد لأبناء المجتمع في مجالات التطور

1- حسين الحاج حسن: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1992م)، ص9.

2- Célestine Colette Fouellefak Kana: **Valeurs religieuses et developpement durable**, (African Books Collective, 2010/10/15), p 65.

3- بين ابن خلدون أن الحضارة لا تظهر إلا في المدن والقرى، وأنها غايةالعمران البشري، وأنها تتصل بالتفنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من إصنافه، وسائر فنونه. (ابن خلدون، عبد الرحمن أبوزيد ولي الدين: **المقدمة**، ط1، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1947م) ،ص168)

المختلفة. مما يستلزم تآزرهم وتعاونهم وتبادل الأفكار بينهم في شتى شؤون الحياة، من علوم وفنون وثقافة وعمران.[1]

ويعرفها ول ديورانت[2] بأنها نظامٌ اجتماعيٌّ يُعين الإنسان على الزِّيادة من إنتاجه الثقافي؛ وإنَّما تتألَّف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصاديَّة، والنُّظم السياسيَّة، والتَّقاليد الخُلُقيَّة، ومتابعة العلوم والفنون.[3] ويعرفها أشفيتسر بقوله: إننا نستطيع أن نعرف الحضارة، بصورة عامة بأنها التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير على السواء".[4]

وحسب ما جاء في Larousse " الحضارة هي مجموع الخصائص المتعلقة بالحياة الثقافية، الفنية، الأخلاقية والمادية لمجتمع إنساني"، وهذا معناه أن الناس يتحضرون حين يقودون الأفراد نحو مجموعة من القيم، وتعني أيضا تحضر الفرد حين يستوعب ويأخد بقيم المجتمع. وفي النهاية الحضارة هي حياة

1- حسين الحاج حسن: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، ص 9.

2- ول وايرل ديورانت: قصَّة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (دط) دار الجيل: بيروت- لبنان، 1988م ج1، ص3.

3- إن عوامل تقدم الحضارة متعددة من جغرافية واقتصادية ونفسية، كالدين واللغة والتربية، ولانهيارها عوامل هيعكس تلك العوامل التي تؤدي إلى قيامها وتطورها، ومن أهمها: الانحلال الخلقي والفكري، واضطراب القوانين، والأنظمة وشيوع الظلم والفقر، وانتشار اللامبلاة، وفقدان الموجهين الأكفاء والزعماء المخلصين، وما تمتاز به حضارة عم أخرى إنما هو قوة الأسس التي تقوم عليها، والتأثير الكبير الذي يكون لها، والخير العميم الذي يصيب الانسانية من قيامها، وكلما كانت الحضارة عالمية في رسالتها، إنسانية في نزعتها، خلقية في اتجاهاتها، واقعية في مبادئها، كانت أخلد فب التاريخ، وأجدر بالتكريم (مصطفى السباعي: **من روائعنا الحضارية**، ط1، (بيروت / الرياض: دار الورّاق، 1999م)، ص 69-70).

4- المرجع نفسه، ص 47.

وعمر ثقافة، وتفعيل القيم الثقافية، والأخلاقية والروحية، والفنية المأخوذة ممن أبدعوها وعاشوها في أول أمرها".[1]

وأما الفرق بين الحضارة والمدنية، يكمن في كون الحضارة اختراع التِّقنيات والإفادة منها، أما المدنيَّة فهي حياة تقدُّمِّيَّة في استعمال التِّقنيات من غير أن تخترعها؛ مما يعني أن الحضارة عراق في الفكر والاختراع والتُّراث والثَّقافة[2] والإمكانيات.[3]

3- مدلول القيم الحضارية:

والقيم الحضارية هي تلك المثل الروحية، والعقلية، والاجتماعية، والإنسانية والأخلاقية، الجديرة باهتمام الإنسان، وعنايته، لما لها من مزايا تجعلها تحظى بالتقدير، وترتبط القيم بالحضارة ارتباطا وثيقا.

1 -Célestine Colette Fouellefak Kana: **Valeurs religieuses et developpement durable**, p 65.

2- كلمة Culture تدل أيضا على معنى الحضارة وهي مأخوذة من اللاتينية Cultura من فعل golere ومعناه حرث أونمّى، ويرى مالك بن نبي أن الثقافة مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعيةالتي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، فهي المحيط الذي يشكل للفرد طباعه وشخصيته. فالثقافة هي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، ولذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر. فالثقافة حسب مالك بن نبي ليست أفكارًا فحسب، ولكنها تضم أيضًا أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى، وإن الأفكار لها دورها الرئيس في تنظيم المجتمع وحياته وحركته, بل فوضاه وخموده وركوده, فالأفكار نتيجة لذلك إما أن تؤثر كعوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك كعوامل ممرضة بحيث تجعل النمو الاجتماعي صعبًا أو مستحيلاً. (مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (دمشق: دار الفكر، 1986م)، ص 83 .و مالك بن نبي: **مشكلات الحضارة، مشكلة الثقافة**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط4، (دمشق: دار الفكر، 1984م)، ص 39-40).

3- ياسين صلاواتي: **الموسوعة العربيَّة الميسَّرة والموسَّعة**، ط1، (بيروت: مؤسَّسة التَّاريخ العربي، 2001م)، ج4، ص1543.

القيم الحضارية هي جملة المبادئ، والأخلاق، والأحكام، والتعاليم، والنظم الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي تميز حضارة ما، وتبين قدرها، وتنظم علاقاتها، وتستمد من الأديان السماوية، أو المذاهب الوضعية، أو العرف والعادة، ويتواصى بها المجتمع، وتتوارثها الأجيال، وتجاهد في سبيلها. وهي تشكل الجانب المعنوي الذي يقابل الجانب المادي للحضارة المتمثل في العمران، والمعمار، والجانب التطبيقي للنظم الإدارية، والاقتصادية، والقضائية، والعسكرية.

ولا تخلو حضارة إنسانية من قيم حضارية يعتز بها الناس، ويتميزون بها عمن سواهم، وقد تكون صحيحة أو فاسدة بناء على مصدرها، أو تحسين العقل وتقبيحه لها، وبهذا يتبين أن: العنصر الأخلاقي الروحي للحضارة هو الذي تخلد به الحضارات، وتؤدي به رسالتها من إسعاد الإنسانية وإبعادها من المخاوف والآلام. والحضارات لا يقارن بينها بالمقياس المادي، ولا بالكمية، ولا بالترف المادي، وإنما يقارن بينها بالآثار التي تتركها في تاريخ الإنسانية[1]

تحديات العولمة:

1- تعريف العولمة:

لا يمكن أن نضبط مفهوم العولمة تحت تعريف واحد، فالتعاريف كثيرة جدا، لكنها تلتقي عند قواسم مشتركة، تتمثل في بعد النزوع نحو الهيمنة، والاستفراد بالتوجيه الثقافي والفكري، والاستحواذ على مقدرات العالم وخيراته.

يعرفها عبد الرحمن طه الذي بقوله: " العولمة هي السعي إلى تحويل العالم إلى مجال واحد من العلاقات الأخلاقية- أو قل مجال علاقي أخلاقي واحد- عن طريق تحقيق سيطرات ثلاث: سيطرة الاقتصاد في حقل التنمية وسيطرة

1- مصطفى السباعي: **من روائعنا الحضارية**، ص 77-78.

التقنية في حقل العلم وسيطرة الشبكة في حقل الاتصال . فلما كانت كل أفعال الإنسان، بموجب المسلمة الأخلاقية السابقة، أفعالا خلقية ترفعه أو تضعه، لزم أن تكون الأفعال المقومة للعولمة، أي السيطرات الثلاث، هي الأخرى أفعالا خلقية وأن تكون العولمة بالتالي عبارة عن عملية تخليق شاملة"[1]

يرى **فلنتوني جيدنز** بأن العولمة هي مرحلة من مراحل بروز وتطور الحداثة، وتتكثف فيه العلاقات الاجتماعية على الصعيد العالمي. ويعرفها **مالكوم ولترزز** بأنها كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي.[2] أما بودرار Baudrillard فيفرّق بين الكونية Universalization والعولمة Globalization في تعريفه للعولمة. ويرى أن التشابه بينها مخادع؛ فالكونية تتمحور حول حقوق الإنسان، الحرية والثقافة والديمقراطية، في تعريفه للعولمة، أما العولمة فهي على العكس تتعلق بالتكنولوجيا، السوق، السياحة، والمعلومات.[3]

2- تحديات العولمة:

لما كانت "العولمة" نمطا سياسيا اقتصاديًّا ثقافيا لنموذج غربي متطور، يخرج بحدوده لعولمة الآخر، فهي تشكّل تحديات خطيرة تهدد الوطن العربي، والعالم الثالث ككل. وتتفاوت هذه المخاطر بين السياسية والثقافية والاقتصادية،

1- عبد الرحمن طه، **الآفات الخلقية للعولمة، كيف يمكن درؤها؟** مجلة المنعطف: عدد 20 / 2002م، ص33.

2- عبد الخالق عبد الله: **العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، مجلة عالم الفكر: عدد 27، الكويت، 1999م، ص 42.

3- مازن كم الماز: **العولمة في منظور جون بودريار**، الحوار المتمدن-العدد: 2620 - 2009 / 4 / 18 - 09:59، http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=169075

ترتبط أساسا بمحاولات عرّفها **رونالد رويرتسون** بأنها اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش.[1]

إن العولمة تشكل تحديا معرفيا كبيرا، فالنسق المعرفي الغربي الذي يؤطر المعرفة ويثريها بمقولاته، ورؤيته لله والكون وللكون والحياة هي التي تسيطر على توجهات أغلبية شعوب الأرض الآن، وتحاصر ثمرات هذا المنهج وعي الإنسان وفكره وسلوكه ورغباته، حتى تكاد تأسر رؤية الإنسانية للوجود، فأصبحت الحضارة الغربية "قانون العصر" المهيمن[2]. فالمنهج المعرفي الغربي مادي في أساسه، وعلى ذلك ترفض الحضارة الغربية وفق منهجها العلمي أيَّ مصدر آخر للمعرفة خارجا عن نطاق الفحص الحسي المادي، الخاضع للتجربة المخبرية أو المشاهدة، ولا يوجد هناك ما يسمى ثابت مثل القيم والأخلاق، لأنها ليست أشياء يمكن تقديرها بالكم.[3] ومن هنا نلمح أن القيم الأخلاقية والحضارية وفق المنظومة الفكرية الغربية أصبحت خاضعة لميزان النفعية المادية.

كما أن العولمة أصابت الأخلاق في مقتل في حياتنا المعاصرة، ولا ينفع مراعاة الظاهر منها دون جوهر القيمة حين يعبَّر ويتكلَّم عن (Ethics)؛ فتنقلب حينها الفطرة والضمير إلى مجرَّد التنصُّل من المسؤولية الجزائية، بعقليَّةٍ تجاريَّة، بسبب غياب المبرِّر الغيبي الذي يدعم قوة الرُّوح والنتيجة شتَّى الانحرافات الخلقيَّة المعروفة؛ وانهيار كلِّي للبناء الحضاري، بسبب تمزُّق العلائق الاجتماعية من نواتها إلى محيطها، فالفضائل الخلقيَّة هي قوةٌ جوهرية في تكوين الحضارة. ولا عجب أن ننتقل حينها –كنتيجةٍ لما سبق– من تحدِّي الفساد

1- عبد الخالق عبد الله: **العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها**، ص42

2- **بدران بن الحسن: الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية**، إسلامية المعرفة، العدد الرابع، ذو القعدة 1416هـ/ أبريل 1996م، ص 211-225.

3- أحمد عروة: **العلم والدين مناهج ومفاهيم**، ط1، (دمشق: دار الفكر،1987م)، ص153.

الأخلاقي، إلى تحدِّي الفساد الكوني بطغيان الجانب المادي المدمِّر للطبيعة من مخلَّفات التصنيع خاصَّة، والذي لا يوازن أهدافه مع الحفاظ على البيئة.[1]

ويرى **بودرار** Baudrillard أن العولمة أدّت إلى خسارة القيم الكونية لشرعيتها وسلطتها. وأن انتشار العولمة سيقضي على كلِّ أشكال الاختلاف، وكل القيم الكونية التي تدافع عنه. بالتالي تؤدي العولمة إلى ظهور ثقافة غير متمايزة بالكامل، لا اختلاف فيها. فمنذ لحظة اختفاء الكونية هيمنت بنية تكنولوجية معولمة. فالكونية التي تحققت في ظلّ العولمة ليست كونية حقه، هي "كونية" السوق والسياحة والإعلام، "كونية" تشيّؤ الإنسان وتنميطه، "**كونية**" عنف محض يعمل على إقامة عالم متحرّر من كلّ قيمة إنسانية لفائدة الاستهلاك. فالقيم تتراجع اليوم لأنَّ العولمة تقضي على الاختلاف، وعلى كل القيم بوحشية.

إن العولمة حوَّلت قيم عالمنا إلى قيم مُعَوْلَمة، فقدت صلتها بماضيها الذي كان يحضّ على التسامح والإيثار، ولقد سيّرت العولمة الناس في طريق لا رجوع عنه، فصار الناس – إذ يمشون في هذا الطريق – يكتبون كل يوم قيمًا جديدة، تختلف عن قِيَمهم الدينية والخلقية، فنسوا الدين والخلق، لقد صارت العولمة دين الاقتصاد المحرّر في العصر الحديث.[2]

المبحث الأوَّل: القيم الحضارية في الأناجيل الأربعة.

1- منذر سليمان: "**مقولة هتنغتون.. صدام للحضارات أم دعوة للتطهير الحضاري؟** "، الحوار، أبريل1997، ص24

و سير روي كالن: **عالم يفيض بسكانه**، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة (213)، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996م)، ص147-149.

2- جيلالي بوبكر: **البعد العقائدي للعولمة وتداعياته في عالمنا المعاصر**، **الألوكة الثقافية**، تاريخ الإضافة: 4/8/2011 م. http://www.alukah.net/Culture/0/33728/

وضعت الديانة المسيحية أسسا وقواعد كانت لبناتٍ أساسية في صرح منظومتها القيمية، ولنا أن نتساءل عن مفهوم القيم المسيحية ومصادرها، وهل ارتقت هذه القيم إلى درجة أسست منظومة متكاملة؛ أم إنَّها حوت ثغرات حالت دون اكتمالها؟ وهل هذه القيم قادرة على سد الثغرات وحل الأزمات التي يعاني منها عالمنا المعاصر؟

ولأن المسيح حسب التعليم المسيحي هو محرر النفس من موت الخطية، ومجدد قواها ومحييها، وفقا لصورتها الأولى قبل سقوطها تحت سيطرة البشر؛ كان لابد أن يشمل هذا التحرير والتجديد نظام التركيب القيمي فيها، مما يؤدي بالإنسان إلى تحقيق ما بنفسه من قيم تحقيقا سويا متناغما " **ككل متناسق** " فيبدع قيما جديدة ويجعله يعيش بطريقة تتناسب وحياته المخلّصة ومثلها العليا[1].

إنَّ القيم بحسب التعليم المسيحي هي: "استعدادات عادّية وثابتة لفعل الخير؛ وهي تتيحُ للشخص ليس فقط أن يفعلَ أفعالاً صالحة وإنّما أن يُعطي أفضل ما فيه. والشخص الفاضل يَسعى بكلِّ قواه الحسّية والروحية إلى الخير، ويمضي وراءه ويختاره في أفعالٍ واقعية"[2].

وتتأصَّلُ القيم الإنسانية في القيم الإلهية التي هي أساس الفعل الأخلاقي المسيحي: الإيمان والرجاء والمحبة؛ لكننا سنركز على القيم البشرية التي يُعَرِّف عنها تعليم الكنيسة بأنها مواقف راسخة، واستعدادات ثابتة، وكمالات عاديّة في

1- جرمانوس لطفي: المسيح ومدنيتنا الراهنة، **المسيح ومشكلات العصر**، (رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى)، الكتاب الرابع، ص18.

2- أنطوان – نبيل العنداري: **تخلّقوا بأخلاق المسيح**، (البطريركية المارونية في منطقة جونية: الرسالة الراعوية الخامسة إلى أبناء الأبرشية بمناسبة عيد العنصرة 15 أيار 2005)، ص 2

العقل والإرادة تُنَسِّقُ أفعالنا، تُنَظِّمُ أهواءَنا، وتقودُ سلوكَنا بحسب العقل والإيمان. وهي تمنحُ السهولةَ، والتسَلُّط على الذات، والفرح، لسلوكِ حياةٍ أخلاقيةٍ صالحة.[1]

وأمَّا عن مصادر هذه القيم فأساسها:

- وصايا العهد القديم مع نوع خاص من التعديل.
- القيم التي رسَّخها المسيح من جهة كونه إلها ضحى بنفسه فداء عن خطايا البشر فكان نموذجا في التضحية والعطاء.
- تعاليم الرسل التي كانت نماذج مختلفة من التضحية والعطاء.

وتعتبر الأناجيل الأربعة المصدر الأساسي للقيم المسيحية، فقد علَّم المسيح من خلالها قيما أخلاقية كثيرة، فتناول مشكلات الحياة الأرضية، وعلم الإنسان واجباته نحو الله والمجتمع والكنيسة والوطن.[2]

وللأناجيل منهج خاص في غرس القيم في نفوس المعتقدين لتقوية صلتهم بالله، وهذا عن طريق شخص المسيح ذاته أو عن طريق الأمر بفعل المباحات والتي تحمل دائما قيما إيجابية أو بترك المحرمات.[3]

وهذا ينطبق على الشريعة لأنها تحدد الخير والسعادة، وتعطي المحرمات المعروفة التي هي أساس تعاسة العالم من حروب ومجاعة وفقدان الأمل.[4]

وما دام المسيح قد أرسى قواعد القيم الإنسانية من خلال خطاباته المختلفة فيجب علينا التعريج على أهم هذه القيم والتي اخترناها أربعةً؛ محاولين استنباطها من الأناجيل الأربعة، كما ويجب علينا تحليلها لفهم مقاصدها

1- المرجع نفسه، ص 3

2- أبو ضيف المدني: **الأخلاق في الأديان السماوية**، ط1، (القاهرة: دار الشروق، 1988)، ص46.

وانظر: ألبير باييه: **أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجية–**، ترجمة: عادل العوا، ص 12.

3 -Voir : -Jean-Michel MALDAMÉ: **Les fondements de la morale chrétienne**,(L’Harmattan: la collection cheminements spirituels, 2005); p39

4 -ibid, op.cit

وأبعادها، وقد اخترنا أن ننتهج المنهج الوصفي في عرض هذه القيم حتى نتحلى بالموضوعية ولكون الدراسة تستلزم هذا النوع من المناهج.

المطلب الأوَّل: قيمتي العدل والحريَّة في الأناجيل الأربعة.

1- العدل

يقول السيِّد المسيح في موعظته فوق الجبل: «**طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ فإنهم يُشبعون**»[1] إنَّه يعطي الرؤية الإنجيلية لهذه الفضيلة؛ ويوجه أنظار أتباعه أيضا إلى العدل في بعده الإنساني الأساسي وملازمته حياة الإنسان في الكنيسة والمجتمع[2].

إنَّ قوامَ العدلِ إرادةٌ ثابتة وراسخة لإعطاء الله والقريب ما يحق لهم؛ فالإنسان العادل تجاه الله، أو البار، هو صاحب فضيلة العبادة، يتميَّزُ باستقامةٍ طبيعية في الأفكار، وسلوكٍ قويم تجاه القريب، أمَّا الإنسان العادل تجاه الناس، فهو يهيئ لاحترام حقوق كلِّ واحد، وجَعل العلاقات البشرية في انسجامٍ يُعَزِّزُ الإنصاف بالنسبةِ إلى الأشخاص، وإلى الخير العام.

لكن أين نحن من مفهوم العدل؟ هل نفهم العدلَ في المساواة المطلقة أو النسبية؟ هل يعني ذلك إعطاء كل إنسان ما لهُ أو الشيء نفسه، وهذا أمر مختلف؟ فحيث هناك ائتلاف في الكفاءات، تكون المساواة المطلقة، وحيث هناك اختلاف تكون المساواة النسبية.[3]

إنَّ النظر إلى العدل من هذه الزاوية، يُشبِهُ إلى حدٍ بعيد ما جاءَ على لسان بولس في رسالته الأولى إلى كنيسة كورنتس حولَ تَنَوّع المواهب، ووحدتها،

1- متى5: 6.

2- أنطوان نبيل العنداري: **تخلّقوا بأخلاق المسيح**، رسالة 5، ص4

3- المرجع نفسه، ص4

وحول التشبيه بالجسد: «**فليسَ الجسَدُ عُضوًا واحدًا بل أعضاءٌ كثيرة**».[1] لذلك مَيَّز تعليم الكنيسة في العدل بين: العدالة التوزيعية – من شخص إلى آخر، ومن الفرد إلى الجماعة، ومن الجماعة إلى الفرد – وبين العدالة الاجتماعية.

2- الحرية

ترى المسيحية أن الإنسان خلق حرا، على صورة الله ومثاله، وهذه الحرية لها شقان: حرية الفعل وحرية الاختيار، وهي ثمرة من ثمار الروح القدس، في حياة المؤمن.[2]

والأخلاق المسيحية هي مؤشرات الحرية التي تقود إلى رفع قيمة الإنسان الجديد بمؤازرة النعمة الإلهية. ولا تبنى الأخلاق المسيحية على أساس مواجهة مشاكل الحياة مواجهة صحيحة فحسب؛ وإنما على مقدار ما يقدم الإنسان نفسه لله، فالبشارة المسيحية هي رسالة التحرر من العالم؛ لذلك يستحيل تحويلها إلى نظام دنيوي، فالحياة التي يدعو المسيح البشر إليها من حيث إنها حياة الحرية الحقيقية تحمل ميزة دينامية إذ تتجلى في تجاوز العالم وتغيير وجهه وبقدر ما يوجه الإنسان حياته حامل روح الإنجيل بقدر ما يسمح للحرية أن تظهر في وجوده.[3]

كما إنَّه يتجلى مفهوم الحرية في المسيحية في قدرة الإنسان على التغلب على الأهواء وعلى تطهير نفسه من كل ما يدنس الجسد والروح[4]؛ أمَّا إذا سيطرت الأهواء عليه فالسبب يعود إلى إرادته الحرة. فمن يعش في عالم الفناء والموت يعسر عليه أن يحيا ملئ الحرية في المسيح. فالميزة الإلهية للحياة

1- كورنثوس 12: 14.

2 -Jean-Michel MALDAMÉ: **Les fondements de la morale chrétienne, P 39**

3- جورج منزريدي: **الأخلاق المسيحية**، ترجمة ميشال نجم، ص 58 – 59

4- 2 كورنثوس: 1/7

المسيحية تعني اعترافا بالحرية الحقيقية التي دعي إليها المؤمن واستحق أن يحياها.[1]

أنواع الحرية:

قال المسيح: « **الحق الحق أقول لكم: إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية... فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً** ».[2]

وجاء في يوحنا أيضا: « **فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: إنكم إن ثبتّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحقّ يحرّركم**»[3]. وقد قال بطرس الرسول: «**لأنَّ من انغلب منه أحد فهو له مستعبد أيضاً**».[4] فهذه الفقرات تتحدّث عن حريتين:

أ- حرية من عبودية الخطية:

فهناك ملايين الناس، الذين يدّعون أنهم أحرار، وهم يرزحون تحت عبودية الخطية. والخطية تعني "التعدّي" على وصايا الله، عصيان كلمة الله، وتعني كذلك الأفكار الآثمة عن الله، والإنسان، والحياة، فقد يكون الإنسان من الأحرار اجتماعياً، ولكنه في ذات الوقت عبد للخطية، لا يستطيع التحرّر منها. قد يكون عبداً للمخدرات، أو المسكرات، أو التدخين، أو الشهوة الجنسية، وهذه العبودية تقيّد الإنسان بقيود حديدية.[5]

1- جورج منزريدي: **الأخلاق المسيحية**، ص60.

2- يوحنا 8:34 و36.

3- يوحنا 8:31-32

4- 2بطرس 2:19

5- القس لبيب ميخائيل: **الحريتان، صوت الكرازة بالإنجيل**، (السنة الرابعة والثلاثون، العدد: 341، فيفري 2006)، ص 4

ويقول بولس الرسول عن هذه الحرية من عبودية الخطية التي يمنحها المسيح لمن يؤمن به ويتطهّر من خطاياه بدمه: «**لا تضلوا! لا زناة ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله. وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم، بل تقدستم، بـل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا**»[1].

ب – **حرية من عبودية الفلسفات، والديانات، والتقاليد الإنسانية**

هم يقصدون ههنا ماتعلَّق بعالم الأفكار؛ فعندما أقام المسيح لعازر من بين الأموات، « **صرخ بصوت عظيم: "لعازر، هلمّ خارجاً". فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة، ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع: حلّوه ودعوه يذهب».**[2] وقد خرج لعازر من قبره، ونال حياة جديدة، لكن يداه ورجلاه كانت مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل..احتاج "لعازر" إلى الحرية الثانية، وهي الحرية التي يقال عنها حرية من الفلسفات، والديانات، والتقاليد الإنسانية. وهذه الحرية الثانية لا يمكن اختبارها بكمالها إلا بالتعمّق في معرفة الحق، «**وتعرفون**[3] **الحق والحق يحرّركم**»[4].

قال بولس للقديسين في كولوسي: "**انظروا أن لا يكون أحد يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل، حسب تقليد الناس، حسب أركان العالم، وليس حسب المسيح**"[5]. وكلمة "**يسبيكم**" تعني "يستعبد عقولكم"[6].

1- كورنثوس 6:9-11

2- يوحنا 11:43-44

3- يوحنا 11:17

4- لبيب ميخائيل: **الحريتـان، صوت الكرازة بالإنجيل**، ص 5-6

5- كولوسي 2:8

6- المرجع السابق، ص 5-6

ويدخل في هذا الأمر ما قام به السيِّد المسيح من مواجهة الحرف بالروح؛ فقد وبّخ بشدة الفريسيين المتمسكين بتقاليد الآباء، جاء في إنجيل مرقس:« **واجتمع إليه الفريسيون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم. ولما رأوا بعضاً من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيد دنسة، أي غير مغسولة، لاموا – لأن الفريسيين وكل اليهود إن لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون، متمسكين بتقليد الشيوخ. ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون. وأشياء أخرى كثيرة تسلموها للتمسك بها، من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسرّة– ثم سأله الفريسيون والكتبة: لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ، بل يأكلون خبزاً بأيدٍ غير مغسولة؟ فأجاب وقال لهم: حسناً تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين، كما هو مكتوب: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عني بعيداً، وباطلاً يعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس. لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس: غسل الأباريق والكؤوس، وأموراً أخر كثيرة مثل هذه تفعلون. ثم قال لهم: حسناً! رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم. لأن موسى قال: أكرم أباك وأمك، ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً. وأما أنتم فتقولون: إن قال إنسان لأبيه أو أمه: قربان، أي هدية، هو الذي تنتفع به مني فلا تدعونه في ما بعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه. مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون**»[1].

لقد أعلن المسيح بكلماته أن العبادة المؤسسة على تعاليم الناس عبادة باطلة، وأنَّ التمسك بالتقاليد هو إبطال لكلام الله، وأن الطاعة لله المرتبطة بالحرية الحقيقية هي وحدها تجعل الإنسان حرا، والإنسان الحر وحده يستطيع أن يطيع الله لهذا كانت الطاعة هي العمل الضروري والواجب للإنسان بعد

1- مرقس 7:1-13

الانحراف الناتج عن العصيان، فبلعصيان دخلت الخطيئة للعالم ولكن بالطاعة تنمو الفضيلة؛ وكما أن نتيجة الخطيئة هي الموت كذلك نتيجة الفضيلة هي الحياة.[1] ويشير إقليميس الإسكندري إلى أن المسيحي الكامل هو الذي يبتعد عن الشر ويصنع الخير لا عن خوف أو عن رغبة في المكافئة بل حبا في الله.[2]

الحرية والإرادة الكونية:

ناقش الإنجيل قضية الحرية الإنسانية؛ وربطها ربطاً وثيقا بالإرادة الكونية؛ ومع ذلك لنا أن نتساءل عن مدى حرية الإنسان من خلال الأناجيل، فهل الإنسان حر؟

إننا نواجه ما يمكن وصفه بالتناقض في مسألة حرية الإنسان وعلاقتها بمسألة الثواب والعقاب، ففي بعض الفقرات الإنجيلية نلاحظ اتِّساقا يرنو نحو الحرية المطلقة للإنسان ومسؤوليته عن أعماله[3]: « **يشبه ملكوت السموات إنسانا ملكا صنع عرسا لابنه وأرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا**»[4]. فالله هو الذي يبادر، ويدعو لكم المدعوين ولهم أن يرفضوا طلب صاحب الكرم من الكرَّامين ما يستحق من ثمر الكرم. أرسل بادئ ذي بدء عبيده، ثم ابنه ذاته. أتراه يعرف، وهو يرسلهم أنهم لن يحصلوا على أيِّ شيء؟ إن الأمر أنأى عن ذلك. بل إنه ليقول في نفسه على العكس: **إنهم يهابون ابني**[5]، أو على الأقل: « **أرسل إبني الحبيب لعلهم إذا رأوه يهابون**»[1] قتل الكرامون الابن: ولكن الله لم يرد هذا القتل، بل إنه في الحق لم يتنبأ به.

1- جورج منزريدي: **الأخلاق المسيحية**، ص96

2- المرجع نفسه، ص110.

3- ألبير بايه: **أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجية –**، ص 33-34.

4- متى 22: 3

5- مرقس 12 :6 ؛ ومتى 21 :37

إذن هذه هي حرية البشر التي تجعل المسيح يعترف في نفسه أحيانا بأنه يعجب من سلوكهم، وعندما رفض مواطنوه الإيمان به دهش لعماهم (وتعجب من عدم إيمانهم).[2]

إن الإنجيل يبين أن الإنسان مسؤول عن أعماله فإن آمن، وصنع خيرا يثاب وإن صنع شرا ولم يؤمن يعاقب، فهل هو حر في أن يؤمن أو لا يؤمن؟

ليس على الإنسان أن يتكل على الله ليحقق خلاصه؛ فعبثا صلى المسيح من أجل بطرس[3] « **لكي لا يفنى إيمانه**».[4] وبالرغم من ذلك فقد أنكر بطرس معلِّمه ولم يجد في شيء عطف يسوع على الشاب الغني، فالشاب الغني لم يشأ أن يبذل الجهد اللازم؛ لذلك لن يدخل الملكوت. فالخلاص يتحقق بالجهد الشخصي وحده «**أطلبوا تجدوا أقرعوا يفتح لكم**»[5]. فمن شاء يتبع المسيح فليفعل على ذلك النحو وحسب قوته.[6]

إن توافر حرية الاختيار يوجب توافر المعرفة فمن لم يسمع الكلام لا يستطيع إتباعه، لهذا جاء في الإنجيل « **ليس أحدٌ يوقظ سراج ويغطيه بإناء أو يضعه تحت سرير**».[7]

المطلب الثاني: قيمتي التسامح والسلام.

1- التسامح:

1- لوقا 20 :13

2- مرقس 6 :6

3- ألبير بايه: **أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجية** –، ص 35

4- لوقا: 32/22

5- لوقا 11 :9، متى: 7 :7

6- لوقا 14 :28

7- لوقا 8 :16 و11: 33، متى 05 :15، مرقس 04 :24.

إذا كان الكتاب المقدَّس الذي تؤمن به النَّصارى فيه عهدان: عهد قديم، وعهد جديد؛ فإنَّ كثيراً من مفاهيم القسم الأوَّل قد تم تحويرها في القسم الآخر؛ وفيما يتعلَّق بالتَّسامح نجد أنَّ العهد القديم كان يسير في غير اتِّجاه التسامح؛ وسفر يشوع خير الأمثلة التي تُضرب في ذلك؛ ورد فيه مثلا: « **لأنّ الرّب قد أعطاكم المدينة، فتكون المدينة وكلّ ما فيها محرّما للرّب**»[1] ثمّ تمّ تنفيذ ذلك « **وحرَّموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفلٍ وشيخٍ حتّى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف** »[2] وورد في شأن مدينة "**عاي**" الآتي: « **فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً جميعُ أهل عاي**»[3]. وليست عاي المدينة الوحيدة التي فُعل بها هكذا، بل قبلها أريحا، وبعدها مقيدة، ولبنة، ولخيش، وجازر، وعجلون، وحبرون، ودبير، وحاصور.

ولذلك قال بعض النصارى حتَّى عن الوصايا العشر: حقًّا إنَّ هذه الوصايا قد جاءت في صور نواةٍ سلبيَّة؛ ولكن المسيح أراد أن يقدِّمها لنا في قوالب إيجابيَّة؛ لذلك زاوج بين الآية الواردة في اللاَّويِّين والتي تقول: «**لا تنتقم، ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحبُّ قريبك كنفسك**»[4]؛ والآية الأخرى الواردة في سفر التَّثنية، والتي تقول: « **تحب الرَّب إلهك من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ قدرتك**»[5]. فقال يسوع للفريسيِّ جامعاً ومزاوجاً بين الآتين: «**تحبُّ الرَّب إلهك من كلِّ قلبك، ومن كلِّ نفسك، ومن كلِّ فكرك؛ هذه هي الوصيَّة الأولى**

1- يشوع 6: 16-17
2- يشوع 6: 21.
3- يشوع 8: 25.
4- لاويين 16: 18.
5- تثنية 6: 5.

والعظمى، والثانية مثلها: تحبُّ قريبك كنفسك؛ بهاتين الوصيَّتين يتعلَّق النَّاموس كلُّه والأنبياء[1]».[2]

وفي الموعظة على الجبل كانت كلمات المسيح مدويَّة في الأسماع؛ حين قال: « **سمعتُم أنَّهُ قيل: تُحِبُّ قريبَكَ، وتُبغِضُ عدُوَّكَ؛ وأمَّا أنا فأقول لكم: أحِبُّوا أعداءكم، بارِكوا لاعِنِيكم، وصلُّوا لأجل الذين يُسِيئون إليكم ويطرُدُونكم، لكي تكونوا أبناءَ أبيكم الذي في السَّماوات: فإنَّهُ يُشرِقُ شمسَهُ على الأشرار والصَّالحين، ويُمطِرُ على الأبرار والظَّالمين. لأنَّه إن أحببتم الذين يُحِبُّونكم، فأيُّ أجرٍ لكم؟ أليس العشَّارون أيضاً يفعلون ذلك؟ وإن سلَّمتُم على إخوتِكم فقط، فأيُّ فضلٍ تصنعُون؟ أليس العشَّارون أيضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا أنتم كامِلِين، كما أنَّ أباكَم الذي في السَّماوات هو كاملٌ**»[3].

إن المبدأ هنا واضح حسب رأي **ألبير بايه** فعلينا أن نحب أعداءنا؛ وعندما نحبهم علينا أن نحترس من اللجوء إلى القوة ضدهم. وسيقال إذا اتخذ المسيحي شريعته في أن لا يقاوم الشر؛ فسيكون هدفا للأشرار، ويجيب الإنجيل عن هذا الاستفسار بأن الحياة ثمينة عند الآخرين ومحتقرة لدينا، فيجب الحذر من الحفاظ على الحياة مهما كان الثمن[4] « **فإنَّ من أراد أن يخلص نفسه يهلكها وما يجد أحد نفسه إلا إذا أهلكها من أجل المسيح**»[5]

1- متى 22: 37-40.

2- جون ستوت: **المسيحيَّة في جوهرها**، ت نجيب غالي؛ كنيسة الملاك ميخائيل، دار يوسف كمال: مصر؛ ص 123.

3- متَّى 5: 43-48.

4- أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجية –، ص 5

5- متى 16: 25، مرقس 08: 35، لوقا 09: 24

وقال بولس الرسول: « **إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم سالموا جميع النَّاس. لا تنتقموا لأنفسكم أيّها الأحباء؛ بل أعطوا مكانا للغضب؛ لأنَّه مكتوب: "لي النِّقمة أنا أجازي، يقول الرّب". فإن جاع عدوُّك فأطعمه؛ وإن عطش فاسقه. لأنَّك إن فعلت هذا تجمع جمر نارٍ على رأسه. لا يغلبنَّك الشَّرُّ؛ بل اغلب الشرَّ بالخير**».[1]

والأمر لا يتوقَّف هنا، بل هناك تسامح في معاملة الخطاة من أجل انتشالهم من أمراض الروح؛ فقد جاء المسيح له المجد وأعلن صراحةً محبَّته لهؤلاء المعتبرين خطاةً؛ مشبِّها إياهم بالمرضى؛ أمَّا هو فالطبيب الذي يحتاجون إليه؛ وأكَّد المسيح تعليمه الخاص بمحبَّة الخطاة بلقاءاتٍ مع المعتبرين خطاةً، وأشراراً؛ مظهرا لهم حدبه وعطفه ومحبَّته، ودخل بيوتهم؛ لقد أحسن المسيح إلى الجميع مدفوعا بمحبته الكاملة والعجيبة؛ ماذا فعل المسيح بأولئك الذين امتلأت قلوبهم حقداً وكراهية وبغضة، واتَّخذوا منه مواقف واضحة وصعبة؟ لقد قابل حقدهم وكراهيتهم بالمحبة.[2]

وخلاصة القول أنَّ[3] المبادئ التي تبثها الأناجيل تقضي بعدم إمكانية إيقاع العقوبة على أي إنسان، ومهما كانت الخطيئة يجب أن يغفر المسيحي ويسامح، يقول المسيح « **إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضا أبوكم السماوي**».[4] تقدم بطرس من المسيح، وقال: «**يارب كم مرة يخطئ إلي أخي، وأنا أغفر له هل**

1- رومية 12: 18-21.

2- الأنبا يوأنس: **المسيحيَّة والصليب**؛ 1984م، ص 124، 125-126.

3- أخلاق الإنجيل – دراسة سوسيولوجية –، ص 58.

4- متى 6: 14.

إلى سبع مرات؟ قال له (يسوع): لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات»[1]

2- السلام:

يرتبط السلام بالمحبة والفرح؛ فرباط المحبة يوازي رباط السلام[2] فلفظة السلام في اليونانية تشتق من فعل: "**ربط**" و"**وصل**". فالسلام هو وئام حبي أي إنه يتوافق مع المحبة، إذا وجد السلام وجدت المحبة وإذا وجدت المحبة وجد السلام.

وإن السلام نقيض الاضطراب، والتصدع. فبينما يجعل السلام الكثيرين واحدا؛ يقسم الاضطراب الواحد إلى كثيرين. ومن عاش في الانقسام لن يشارك الله الواحد اللامنقسم وهنا يتلخص معنى سلام المسيح.

يتصل السلام بكل أبعاد الحياة الإنسانية في شخص المسيح الإله الكامل والإنسان الكامل؛ فيعيد الإنسان اكتشاف السلام مع نفسه، ومع الله. فسلام الإنسان مع نفسه يكون مستحيلا دون السلام مع الله؛ وسلام الإنسان مع الله لا يتم دون السلام مع الذات، وسلام المسيح ليس رسالة خلقية إنما هو توحيد الإنسان وجوديا وإعتاقه من الفساد والموت فما يعذب الإنسان ويقله هو الموت لذلك يستحيل وجود السلام الحقيقي من غير تجاوز الموت، هذا هو سلام المسيح.[3]

1- متى 18: 21.

2- أفسس4: 3

3- جورج منزريدي: **الأخلاق المسيحية**، ص 125.

فالدين المسيحي يدعو إلى السلام لأنه يعتبر الناس كلهم إخوة لهم أب واحد هو الله، والإخوة لا يتحاربون ولا يتقاتلون؛ بل يعامل بعضهم بعضا بالتسامح والتضامن والمحبة[1]

ولو حاولنا العودة إلى الإنجيل لوجدنا أن المقاطع التي تذم القتل باعتباره جريمة بشعة كثيرة ولا تحصى، ولا يقتصر المسيح على إقرار الأمر القديم "**لا تقتل**" بل إنه يعتبر الغضب على الآخر بدء قتل[2]. ولما كان الإحسان يشغل منزلة الصدارة جازت مخالفة السبت لإنقاذ حياة الإنسان.[3]

تقول الموعظة على الجبل[4] "**طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون**"[5] يقول الأستاذ برينو[6] إن ذلك لا يعني موقف الاستسلام بل موقف صانعي السلام فالمسيح لا يدعو للامتناع عن كل عنف وحسب؛ بل يريد أن نعمل على إقامة السلام بين الناس، وقد ذمَّ المسيح استعمال العنف في جميع الأحوال، قال « **رُدَّ سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف يهلكون**»[7].

1- **الطرق الخاصة في التربية المسيحية،** (سورية: مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، (سورية: وزارة التربية، مديرية المطبوعات والكتب المدرسية، 1982)، ص 100.

2- متى 5: 21

3- ألبير بايه: **أخلاق الإنجيل** – دراسة سوسيولوجية –، ص 58

4- تطلق على الفصول الخامس والسادس والسابع من إنجيل متى، وقد نطق بها المسيح على سفح الجبل بالقرب من كفر ناحوم، واستغرقت عدّة أيام، وقد أعلن فيها المسيح موقفه من الناموس. (**التفسير التطبيقي للعهد القديم،** (القاهرة: شركة ماستر ميديا، 2002)، ص 1880) .

5- متَّى 5: 9 متى 18: 21

6- ألبير بايه: **المرجع السابق،** ص 58

7- متَّى 26: 52

ويبدو من هذا النص أن المسيح لا يدين هذا المحارب أو ذاك؛ إنما يدين اللجوء للسيف لأي سبب من الأسباب؛ وهو لا يرد الحرب سواء كانت هجومية أو دفاعية بل يرفض الحرب.

إنَّ كلام المسيح عن اللا عنف تُثبّته خبرة البشرية منذ فجر التاريخ**!** فالحرب لم تَحُلَّ أيّ مشكلة قط، بل بالعكس، فقد تركت وراءها البغض والعنف والانقسامات والحقد بين الشعوب والدول[1] وفي فقرة أخرى يقول المسيح: «**سلاما أترك لكم سلاما أعطكم...**»[2].

ومن الفقرة يمكن أن نستخلص أن السلام نوعان: نوع يتأسس على الإيمان القلبي بالمسيح، ويناله على أساس كفارة المسيح. وهناك سلام آخر مؤسس على الشركة مع الآب السماوي يختبره المؤمن بالامتلاء بالروح القدس الذي هو نتيجة للسلام الأول، ومن المستحيل أن يتمتع المؤمن بأحدهما دون الآخر.[3]

وما لم تكن هناك شركة سليمة مع الآب بواسطة الروح القدس فلن يتوافر هناك إيمان قلبي عامل بالمحبة في الحياة العملية لأجل مجد المسيح في السلام الإلهي؛ وليس له ارتباط بالظروف إطلاقاً فهو سلام يملأ القلب ويعم أرجاء النفس عندما يعتمد المسيحي كليّاً على عمل الروح القدس في قلبه.[4]

إن السلام الحق من وجهة النظر الإسلاميَّة، ليس هو السلام المفروض فرضاً من قوي على ضعيف، ولا السلام الذي يصطنعه المرء لنفسه هرباً من إرباكات الحياة وإحراجاتها على مبدأ "**إذا لم يكن لك ما تريد فأرد ما يكون**"، بل

1- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، 1887.

2- يوحنا 14: 28.

3- السلام الحقيقي(كلمة العدد)، **صوت الكرازة بالإنجيل،** (السنة الثالثة والثلاثون، العدد: 331، جانفي 2005)، ص 3

4- **التفسير التطبيقي للكتاب المقدس**، ص2223

هو سلام نابع من أعماق القلب المليء بالحب، والإيمان، والثقة، ينشر إشعاعه على كل ناحية من نواحي النفس والروح والجسد.[1]

السلام الحق هو الذي يجده الإنسان مع الآخر في شخص المسيح، فالله المتجسد هو إله السلام، ومتى انطلق الإنسان في هذا السلام فإنه يدعى إلى مسالمة الآخرين جميعا على قدر طاقته. وسلام المسيح لا يقوم على الدنيويَّات، لأن المسيح نفسه يؤكد أن سلامه ليس سلاما بالمعنى الأرضي«**سلامي أعطيكم لا كما يعطيه العالم أعطيكم أنا**».[2] إنَّ سلام العالم محدود وهش لأنه مقيد بالموت وبالفساد، وحفظه محدود إذ يقيد حرية الإنسان، أما سلام المسيح الذي يقدم بدمه وبصليبه فهو مطلق لا يزول، إنه لا يتحول إلى نظام الدهر الشرير[3]

المبحث الثاني: القيم الحضاريَّة في الإسلام:

وسنسلك في الكلام عنها نفس المسارات السابقة في الجانب المسيحي؛ ومحاولة منا في تحديد المرجعية المفهومية للقيم الإسلامية سنحاول رصد هذه القيم من خلال القرآن الكريم.

المطلب الأوَّل: قيمتي العدل والحريَّة في القرآن الكريم.

1- قيمة العدل:

جاء الإسلام في خضم تيارات عاتية، تعترف بإنسانية الإنسان وتتفاخر بالأنساب وتفرق بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتستهين بشرف الإنسان وحقوقه فعصفت بالمعاني الإنسانية. وقد حاول الإسلام بث قيمتي العدل والمساواة في المحيط العالمي، وذلك بغرس قواعد العلاقات الأخوية بين بني الإنسان على

1- جوزيف عبدو: **السلام الذي يحتاجه العالم**، صوت الكرازة بالإنجيل، (مجلة شهرية، السنة الثالثة والثلاثون، العدد: 331، جانفي 2005)، ص30

2- يوحنا 14: 27.

3- جورج منزريدي: **الأخلاق المسيحية**، 126

مستوى الأفراد والمجتمعات والدول؛ وتقرير كرامة الإنسان من منطلقات إنسانية، تنطق بالحق والعدالة وتمقت الباطل والظلم، وتزيل عناصر التفرقة على أساس اللون أو العنصر أو الإقليم أو القوم.

وقد صدر الإعلان عن المساواة البشرية في صيغته الأخيرة، بعد أن رسخت مضامينه في حوالي ربع قرن من الزمن، تقرر فيه أن بني البشر يشتركون في أصل واحد، وعليه وعلى أساس العدالة فهم متساوون كأسنان المشط[1]، ولا فضل لعربي على أعجمي[2]، وقد كانت تلك العبارات النبوية هي الصياغة الأخيرة للإعلان العالمي لمبدأ المساواة البشرية، بعد أن رسخته الآيات القرآنية. كما قد عرف المجتمع الإسلامي نماذج تطبيقية رائعة توزعت على فترات التاريخ الإسلامي حتى صار المحك العملي الإسلامي في موضوع المساواة مثالا حيا ودليلا قاطعا لم يسبق له مثيل.[3]

وللإسلام موقف واضح وجلي من التفرقة العنصرية، يقوم على أساس كرامة الإنسان أيًّا كان لونه أو جنسه أو قومه أو وطنه، وقد جعل أساس التفاضل العمل الصالح والتقوى، جاء في القرآن الكريم:

1- قال صلى الله عليه وسلم: " **أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى**" رواه أحمد.

2- قال صلى الله عليه وسلم: " **إن الله أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**" رواه الترمذي.

3- عدنان علي رضا النحوي: **المسلمون بين العلمانية وحقوق الإسلام الوضعية**، ط1،(دار النحوي، 1997)، ص263.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[1]
- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾[2].
- ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾[3].
- ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾[4]
- ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[5]

فمن الآيات السابقة نجد أن الإسلام كفل للنَّاس جميعا عدلا ومساواة، رجالاً ونساءً في الكرامة والمنزلة وأخذ الحقوق. وفي الوقت الذي قرر الإسلام فيه المساواة، فإنَّه قررها بأسلوب منطقي حكيم يلائم العقول النيرة والفطر السليمة؛ ويساير مبادئه الخالدة في إشاعة العدل، وإتاحة فرص التكافؤ بين عامة المسلمين، وإناطة التفاضل؛ وإن كان هناك تفاضل بين الناس في الرزق، فهذا

1- النساء: 1

2- النساء: 124

3- آل عمران: 195

4- النحل:97

5- الأحزاب: 35

راجع لاختلاف كفاءاتهم وطاقاتهم في إجادة الاعمال، ووفرة الانتاج، فليس من العدل مساواة الغبي بالذكي والكسول بالمجد والعالم المخترع بالعامل البسيط، إذ المساواة والحالة هذه مدعاة لخنق العبقريات والمواهب وهدر الطاقات والجهود، قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1].

وفي الختام نقول إن شرع الاسلام مبدأي المساواة العدل، ونشر ظلاله في ربوع المجتمع الإسلامي بأسلوب مثالي فريد، لم تستطع تحقيقه سائر الشرائع والمبادئ. فأفراد المجتمع ذكوراً وإناثاً، بيضاً وسوداً، عرباً وعجماً، أشرافاً وسوقة، أغنياء وفقراء؛ كلهم في شرعة الاسلام سواسية كأسنان المشط، لا يتفاضلون إلاَّ بالتقوى والعمل الصالح.

2- قيمة الحرية:

قرر الإسلام الحرية للإنسان وجعلها حقاً من حقوقه واتخذ منها دعامة لجميع ما سنَّه للناس من عقيدة وعبادة ونظم وتشريع، وتوسَّع الإسلام في إقرارها؛ ولم يقيد حرية أحد إلا فيما فيه مصالح الناس المعتبرة واحترام الآخرين بعدم التدخل في شؤونهم وإلحاق الضرر بهم، لا في أعراضهم ولا في أموالهم ولا في أخلاقهم، ولا في أديانهم ومقدساتهم وغير ذلك.[2]

ومفهوم الحرية من المنظور الإسلامي يتحقق من خلال الحقوق والواجبات باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة؛ لأنَّ الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد فيها غير مرتبط بالآخرين؛ وقد يعرف حقوقه ولا يعرف حقوق

1- الزخرف: 32

2- محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني: **مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية حرية التعبير عن الرأي**، (إمارة الشارقة: منظمة المؤتمر الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الأعلى، دورة 19)، ص5.

الآخرين عليه وبذلك يصبح انفرادياً في تعامله قاصراً عن أداء واجباته، فإذا كانت الحرية من منطلق الحقوق فقط دون الواجبات كان عدم التوازن في الحياة.

وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذه المناهج في مختلف شؤون الحياة، وأخذ به في جميع القضايا التي تقتضى كرامة الفرد في شؤونها؛ وهي المناحي المدنية والدينية ومناحي التفكير والتعبير، ومناحي السياسة والحكم؛ حتى وصل إلى شأن رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه[1].

أولى الإسلام الحرية الدينية اهتماما كبيرا من خلال تطبيقات معروفة، وليس بمجرد إطلاق شعار "**الحرية الدينية**" ويمكن لنا أن نلخص أهم الأسس والمبادئ الدالة على مكانة الحرية الدينية في الإسلام فيما يلي:[2]

- أبطل الإسلام المعتقدات الضالة التي اعتنقها الكثيرون بالتقليد الأعمى، والخضوع للموروثات وتقديمها. وهو سلب لحرية الإنسان في الاعتقاد ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[3].
- تأسيس العقيدة الإسلامية على البراهين والأدلة العقلية التي تخاطب عقل الإنسان وتجعله يعتنق تلك العقيدة عن قناعة وليس تقليداً.
- الأمر بحسن مجادلة المخالفين وردهم إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ

1- المرجع نفسه، ص 6.

2- الطاهر بن عاشور: **مقاصد الشريعة الإسلامية**، تحقيق ودراسة:محمد الطاهر الميساوي، ط2، (الأردن: دار النفائس، 2001)، 393-394

3- الزخرف: 22

ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

- حرية العقيدة: منع الإسلام ونفى الإكراه في الدين بوجه عام، سواء كان إكراها على الإسلام أو على غيره من الديانات ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.[2]

فعند قيام الدولة الإسلامية كان فيها مع الإسلام عقائد أخرى وقد أقرَّهم الإسلام على بقائهم عليها، واحتفاظهم بها دون إكراههم على الدخول في دين الدولة بل كفلت لهم حريتهم في الدِّين: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾[3]

وقد وردت الآيات التي تجعل تعدد الأديان والاعتقادات أمرا طبيعياً لا بد من مراعاته، ففي سبيل التخفيف عن الرسول ص في ضيق صدره بعدم إسلام من دعاهم يقول الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلَّم: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾[4]؛ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ

1- العنكبوت: 46

2- البقرة: 256

3- إبراهيم:21

4- الكهف: 6

فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾[1].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾[2]

ويفهم من قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾[3] أنَّ الاعتقاد الصحيح ثمرة الاقتناع الكامل والتصديق الثابت، وأنه لا قيمة لعقيدة تأتي نتيجة القهر والتسلط فحالما تزول أسباب القهر تنتهي وتزول.

كما أن القرآن كفل الحرية الفكرية، فحرية التعبير من نعم الله تعالى عليه، حيث جعله بهذه النعمة معبراً عن نفسه مبيناً عما يدور في فكره وخلده، ومنحه القدرة العقلية على تصور ما يدور حوله ثم الحكم عليه بما يصل له من خبراته وتجاربه يقول الله عز وجل تأكيداً على ذلك: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾﴾[4].

فالله جل جلاله خلق الإنسان وأكرمه وأنعم عليه بنعمة العقل والإدراك وعلمه البيان ليُعْمل عقله ويفصح عما يدور في عقله، بحرية مبنية على احترام الحق الفطري واستخدام نعمة الإدراك والبيان، ودعوة إلى تحقيق التعاون على البر والتقوى، والتطلع إلى تكوين المجتمع المسلم الذي يقوم على المشاركة الإيجابية في تحقيق الإخاء والمساواة والأمن والعدل.

1- الغاشية: 21-26

2- يونس: 99

3- الكهف: 29

4- الرحمن: 1 – 4

ومن الأدلة على وجوب حرية التعبير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[1] فإن الأمر والنهي لا يكونان إلا من خلال التعبير. وهذا كله يدل على أن حرية التعبير من حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان جزء من الدين شرعها الله وبينها الرسول ص في سنّته المشرفة وسيرته العطرة [2]. وقد كفل الإسلام أيضا حرية العمل وحرية التملك، للرجل والمرأة على حد سواء قال تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[3].

المطلب الثاني: قيمتي التسامح والسلام.

1- قيمة التسامح:

إن التسامح في الإسلام نابع من السماحة بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة في غير تفوق جنسي أو تمييز عنصري؛ فقد حثنا ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الشرائع الحقَّة؛ حيث قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[4].

والتسامح ليس هو التنازل، أو التساهل، أو الحياد اتجاه الغير؛ بل هو الاعتراف بالآخر.

1- آل عمران: 110.

2- محمد عبد اللطيف صالح الفرفور الحسني: **مناهج الحرية في الحضارة الإسلامية حرية التعبير عن الرأي**، ص10-11

3- النجم:39

4- البقرة: 285.

إنه الاحترام المتبادل، والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص، وبالحريات الأساسية للآخرين. وإنه وحده الكفيل بتحقيق العيش المشترك بين شعوب يطبعها التنوع والاختلاف.

وقد وجَّه القرآن الكريم خطابه إلى العقل الإنساني الذي يعد أجلّ نعمة أنعم الله بها على الإنسان. ومن هنا فإن على الإنسان أن يستخدم عقله الاستخدام الأمثل؛ وفي الوقت نفسه يطلب القرآن من الإنسان أن يمارس حريته التي منَحها الله له والتي هي شرط ضروري لتحمل المسئولية. فالله سبحانه لا يرضى لعباده الطاعة الآلية التي تجعل الإنسان عاجزاً عن العمل الحر المسئول. فعلى الإنسان إذن أن يحرص على حريته؛ وألا يبددها فيما يعود عليه وعلى الآخرين بالضرر، ومن شأن الممارسة المسئولة للحرية أن تجعل المرء على وعي بضرورة إتاحة الفرصة أمام الآخرين لممارسة حريتهم أيضاً؛ لأنَّ لهم نفس الحق الذي يطلبه الإنسان لنفسه. وهذا يعني أن العلاقة الإنسانية بين أفراد البشر هي علاقة موجودات حرة يتنازل كل منهم عن قدرٍ مِن حريته في سبيل قيام مجتمع إنساني يحقق الخير للجميع. وهذا يعني بعبارة أخرى أن هذا المجتمع الإنساني المنشود لن يتحقق على النحو الصحيح إلا إذا ساد التسامح بين أفراده، بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه.[1]

إن التسامح لا يعني بأيِّ حالٍ من الأحوال التنازل عن المعتقد، أو الخضوع لمبدأ المساومة والتنازل؛ وإنما يعني القبول بالآخر، والتعامل معه على أسس العدالة والمساواة بصرف النظر عن أفكاره، وقناعاته الأخرى. ومن المعروف أنَّ هناك منظومة أخلاقية شرعها الدين الإسلامي من قبيل: الرِّفق، والإيثار، والعفو، والإحسان، والمداراة، والقول الحسن، والألفة، وتوطين النفس على

1- محمود حمدي زقزوق: **التسامح في الإسلام**، (تركيا- إزمير-: مجلة الحراء- مجلة علمية دورية دولية-، عدد: 3أفريل 2006)، ص25.

التعامل الحضاري مع الآخرين، حتى لو كان هناك اختلافات وتمايز معهم. ولذلك نجد أنَّ الذِّكر الحكيم يرشدنا إلى حقيقة أساسية وهي: أنَّ حسن الرفق والتعامل الأخلاقي والحضاري مع الآخرين قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام. فالقرآن في صفته المستند الفكري الأول للمسلمين، ينص على حرية العقيدة لغير المسلمين، وعلى حرية التعبّد وعدم الإكراه في اعتناق الدين. كما يؤكد التزام حرية الآخر واحترامها. ويؤكد أهمية التسامح في الإسلام أنَّ الحديث عن حرية اعتناقه وردت في أكثر من مئة آية.

والمرجع الإسلامي الثاني حول التسامح هو الممارسة النبوية المشددة على الإقناع والمسالمة والحرية وإحقاق الحق، وبسط العدل بين الناس، ونشر المساواة، وتحرير الانسان من الجهل والعبودية، والظلم، لذلك فمن واجب كل إنسان –مهما كان دينه واتجاهه– أن ينشر المحبة والروح الإنسانية، والموعظة بالحسنى؛ ولكل إنسانٍ حسابه أمام الله سبحانه وتعالى.[1]

إنَّ التَّسامح يقوم على الاعتراف بحرية وكرامة كل إنسان. ونحن مطالَبون أخلاقيّا ودينيّا أن نكون متسامحين مع كل البشر، بغضِّ النظر عن انتماءاتهم: العرقية، والثقافية، والدينية، والأيديولوجية.

ولا يكتفي الإسلام بتعليم أتباعه هذا التسامح الشامل بوصفه شرطاً من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني؛ بل يطلب منهم أيضاً الالتزام بالسلوك العادل الذي لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية.

1– صبا النداوي: **التسامح في الإسلام**، (الحوار المتمدن– صحيفة علمانية إلكترونية– عدد:2178، 2008/2/1)

وخَير وصف يمكن أن نطلقه على هذا التسامح أنه تسامح إيجابي وليس تسامحاً حيادياً. وفي هذا يقول القرآن الكريم: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

ومن الملاحظ في هذه الآية؛ وفي آيات أخرى كثيرة، أنَّ القرآن لم يستخدم أسلوب الأمر بطريق مباشر، وإنما استخدم أسلوب التنبيه والتوجيه الذي يتطلب استخدام العقل الإنساني. ومن عادة القرآن أن يعالج المشكلات بطريقة متدرجة تتفق مع ثقافة كل فرد. والإسلام لا يريد أن يقول للناس كلاماً ليحفظوه ويعملوا به بطريقة آلية، وإنما يريد تربية النفس وتحقيق الذات، والعمل المسئول الذي يؤدَّى عن اقتناع. ويشتمل النص القرآني الذي أوردناه على ثلاثة أمور:

- **أوَّلها:** أنَّ الله سبحانه وتعالى لم ينه عن التسامح مع الآخرين.
- **ثانيها:** أنَّ التسامح مع الآخرين الذين لم يعتدوا على المسلمين والتعايش الإيجابي معهم بالبر والقسط هو العدل بعينه.
- **ثالثها:** التأكيد على أن من يسلك هذه السبيل يَحظَى بحبّ الله سبحانه وتعالى.

وبهذا الأسلوب المقنع الذي يخلو من الإكراه على فعل شيءٍ ما، أو الامتناع عنه تصل الرسالة القرآنية –رسالة التسامح– إلى النفوس في يسر وسهولة، وتحقق التسامح بين الناس[2].

التسامح والتعددية:

1- الممتحنة: 8

2- محمود حمدي زقزوق: **التسامح في الإسلام**، ص 27

ومن هنا لا يجوز أن يُنظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلاً يعوق التقارب والتسامح والتعايش الإيجابي بين الشعوب. فقد خلق الله الناس مختلفِين: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةًۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾.[1] ولكن هذا الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذا الاختلاف والتنوع دافعاً إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الناس من أجل تحقيق ما يصْبون إليه من تبادل للمنافع وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء للحياة والنهوض بها. ومن هنا يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[2]؛ والتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات.

التسامح والحوار

إن الحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كلِّ جانب لوجهة نظر الجانب الآخر. وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين، واحترامُ الرأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به. وليس الهدف من الحوار مجرد فكّ الاشتباك بين الآراء المختلفة، أو تحييد كل طرف إزاء الطرف الآخر؛ وإنما هدفُه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس، وتمهيد الطريق للتعاون المثمر فيما يعود على جميع الأطراف بالخير، وذلك بالبحث عن القواسم المشتركة التي تشكل الأساس المتين للتعاون البنّاء بين الأمم

1- هود:118-119

2- الحجرات: 13

والشعوب. والحوار بهذا المعنى يُعد قيمة حضارية ينبغي الحرص عليها والتمسك بها وإشاعتها على جميع المستويات. والوعي بذلك كله أمر ضروري يجب أن نعلمه للأجيال الجديدة، وبصفة خاصة عن طريق القدوة وليس عن طريق التلقين. ولا جدال في أن الحوار قد أصبح في عصرنا الحاضر أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى، بل أصبح ضرورة من ضرورات العصر، ليس فقط على مستوى الأفراد والجماعات، وإنما على مستوى العلاقات بين الأمم والشعوب المختلفة.[1]

وإذا كانت بعض الدول في القرن الجديد لا تزال تفضل شريعة الغاب بدلاً من اللجوء إلى الحوار، فإن على المجتمع الدولي أن يصحّح الأوضاع، ويعيد مثل هذه الدول الخارجة على القيم الإنسانية والحضارية إلى صوابها حتى تنصاع إلى الأسلوب الحضاري في التعامل وهو الحوار. فليس هناك من سبيل إلى حل المشكلات وتجنب النزاعات إلا من خلال الحوار. ومن منطلق الأهمية البالغة للتعارف بين الأمم والشعوب والحضارات والأديان –على الرغم من الاختلافات فيما بينها– كانت دعوة الإسلام إلى الحوار بين الأديان. وذلك لما للأديان من تأثير عميق في النفوس.

ويعد الإسلام أول دين يوجه هذه الدعوة واضحة صريحة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

1– محمود حمدي زقزوق: **التسامح في الإسلام**، ص28

2– آل عمران: 64

ولم يكتفِ القرآن بمجرد الدعوة إلى الحوار بين الأديان، بل رسم المنهج الذي ينبغي اتباعه في مثل هذا الحوار. وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾[1].

أما الحكم على الآخرين الذين يشاركوننا في الإنسانية، فيجدر بنا أن نتركه لله جل شأنه؛ وخير لنا بدلاً من ذلك أن نجتهد في أن نسلك حيالهم مسلكاً عادلاً متسامحاً طالما لم يسيئوا إلينا. فالدين لا يحفل إلا بالأعمال التي نتحمل نحن مسئوليتها[2]؛ ولهذا يقول القرآن الكريم في موضع آخر: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾[3].

2- قيمة السلام

لم تعرف البشرية دينا اشتهر بالسلام كما اشتهر الإسلام، فالتحية بين أهله السلام، والجنة دار السلام ،كما أنه أتى ليحافظ على النفس البشرية من أي ضرر، ولكنه في ذات الوقت لا يرضى الخنوع والذل. وقد شرع الجهاد دفاعا عن النفس، فإن انتهى الأعداء عن الاعتداء، فالمنهج الذي بيننا وبينهم قائم على احترام الحقوق ونشر السلام.

وهناك أكاذيب كثيرة ومفتريات عديدة، توجه إلى الإسلام والإسلام منها بريء، ومن بين هذه المفتريات القول بأن الإسلام يدعو إلى العنف، ويقاوم دعوة السلام؛ مع أن الإسلام هو أكثر الأديان دعوة إلى السلام، وحثًّا عليه، وتحبيبًا

1- العنكبوت: 46

2- محمود حمدي زقزوق: **التسامح في الإسلام**، ص29-30

3- الشورى: 15

فيه. ويكفي للتدليل على ذلك بصفة مبدئية أن اللّه تبارك وتعالى جعل من بين أسمائه اسم "**السلام**" للتذكير بأنه مصدر السلام، والداعي إلى السلام، والمحبِّب في السلام.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾[1]، ويقول عن العباد الأبرار الأتقياء: ﴿۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ ﴾[2] . ويجعل القرآن تحية المؤمنين في العالم الآخر هي تحية السلام، فيقول: ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ ﴾[3]. ويُخبرنا بأن الملائكة إذا دخلوا على المؤمنين في جنات النعيم ألْقَوْا على المؤمنين تحية السلام، فيقول القرآن الكريم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾[4].

والإسلام لم يَشرعِ الحربَ إلا دفاعًا عن النفس، وصدًّا لهجوم الأعداء وطلبًا لتحرير المكان أو الإنسان من المحتلِّين والمستغلين والمستعمرين، فقال القرآن الكريم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩﴾[5]. ويقول: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[6]. وقال:

1- يونس: 25

2- الأنعام: 127

3- الأحزاب: 44

4- الرعد: 24

5- الحج: 39

6- البقرة: 194

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾[1]. وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾.[2]

والإسلام يُقَرِّرُ أن المؤمنين يأخذون بأسلوب السلام إذا انتهى عدوُّهم عن العدوان، وقَبِلَ مبدأ السلام القائم على العدل والحق والإنصاف، ورد الحقوق إلى أصحابها، ولذلك يقول القرآن الكريم: ﴿۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١﴾[3].

ويُقرر الإسلام أن القتال إنما يكون أيضًا للدفاع عن المهضومين المظلومين، فيقول القرآن في سورة النساء: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾[4].

وهناك في الإسلام نصوص كثيرة تؤكد أنه دين السلام والمحبة والأخوة الإنسانية، فالقرآن يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[5]. ويقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ

1- البقرة: 193

2- البقرة: 190

3- الأنفال: 61

4- الآيتان: 75-76

5- النساء: 1

وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾[1]. وهكذا نرى أن الإسلام دين سلامٍ وأمان، لا دينَ عُنْفٍ أو عدوان.

خـاتـمة

في ختام البحث نود أن نجمل أهمَّ النتائج التي تمَّ التوصل إليها، وذلك كالآتي:

- إن ما يمكن أن نخلص إليه، أن العولمة تفرض تصورا خاصا للقيم الحضارية، والتي من بينها العدل والمساواة والحرية والتسامح، فهذه القيم لا تخرج عن إيديولوجيتها القائمة على أساس مادي، يفرغ هذه القيم من روحها. فقيم العولمة متحولة خاضعة لتغيرات المجتمعات والمنهج النفعي، ومن هنا كان لا بد من قيم حضارية تتسم بالثيات والاستمراية. ومما لا شك فيه أننا في حاجة إلى قيم ثابثة تجمع بين البعدين الروحي والمادي.
- إنَّ المسيحيَّة زاخرة بمجموعة من القيم الحضارية التي تتقاطع مع كثيرٍ ممَّا هو في الإسلام؛ ممَّا يشجِّع على شيءٍ من آفاق الحوار؛ ويتجلَّى ذلك من خلال المواعظ التي ألقاها السيِّد المسيح، وأهمُّها الموعظة على الجبل. تلك القيم كانت موجزة في عبارتها، عميقة في معناها؛ يربط المسيحيُّون بينها وبين بقيَّة التَّعاليم، وبالمخطط الخلاصي على وجه الخصوص والتَّحديد.
- إن القيم الحضارية الاسلامية تمتاز عن غيرها بالشمول والتكامل؛ فهي شاملة كاملة تنظم علاقة الإنسان بالكون والحياة وبربه وتنظم علاقته مع بني جنسه، وتقوم هذه القيم على التوحيد وإفراد الله سبحانه وتعالى

1- الحجرات: 13

بالألوهية والربوبية والملك والتدبير والتحليل والتحريم، كما تقوم أيضاً على العدل والمساواة وعلى مبدأ الوسطية والاعتدال، وسطية ليس فيها غلو في جانب الماديات ولا غلو في جانب الروح، وسطية ليس فيها غلو في جانب الدنيا ولا في جانب الآخرة، وسطية ليس فيها غلو في حقوق الفرد ولا غلو في احتياجات الجماعة المسلمة، وسطية تتقبل الآخر دون ان تنكر الذات، وسطية وفق قيم راسخة تتسامح مع الآخر دون أن تفرط في الحقوق والواجبات.

- لا بد من الانطلاق من منظور قيمي مشترك يقوم أساسا على النفاعل الإيجابي دون قسر أو إكراه، كما يقوم على الاعتراف بالتعددية الثقافية والتنوع الحضاري، والتعارف الحضاري، وليس التنميط الحضاري، أو القولبة الحضارية كما في مقولات الليبرالية الجديدة عن العولمة. ولابد أن نبرز دور الدين في توفير الأساس القيمي والأخلاقي للتفاعل بين الحضارات، للمساهمة في التطوير القيمي الثقافي العالمي اللازم، للاستجابة لسلبيات العولمة. فالدين في بعده القيمي له من الخصائص ما يجمعنا على قيم مشتركة ثابثة تكون أرضية خصبة لحوار فاعل، يتجاوز الماديات ليعطي البعد الروحي للقيم الحضارية المشتركة.
- لابد أن نؤسس لقواعد قيمية وأخلاقية مشتركة بين الأديان، تحترم الانتماءات، والوعي بالذات والشعور بالهوية في ظل التنوع والتعددية؛ فمثل هذه القواعد ستساعد في مواجهة سلبيات العولمة الساعية لفرض نموذج ثقافي بعينه خدمة لأغراضها الاقتصادية.